

يا عمال العالم، اتحدوا!

طريق البلشفية



المؤتمر الشيوعي العالمي الرابع

موسكو، من 7 تشرين الثاني إلى 3 كانون الأول 1922

أطروحات في القضية الشرقية

ترجمة

محمد علي العربي

نشر البلشفيك العربي

نونس، آب 2012

المصدر المعتمد في الترجمة:

RESOLUTIONS AND THESES
OF THE FOURTH CONGRESS
OF COMMUNIST INTERNATIONAL

Published for the Communist International by the
Communist Party of Great Britain, 16 King Street,
Covent Garden, W.C.2

1. نمو الحركة الثورية في الشرق

لقد قدّم المؤتمر الشّيوخي العالمي الثّاني مبادئ القضية القوميّة الاستعماريّة في مرحلة تواصل الصّراع بين الإمبرياليّة والدّكتاتوريّة العالّية استنادا إلى عمل البناء السّوفييتي في الشّرق ونموّ الحركة الوطنيّة الثّوريّة في المستعمرات.

لقد أصبح التّضال ضدّ الاضطهاد الإمبريالي منذ ذلك الوقت أكثر حدّة على نحو عظيم في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة كنتيجة لتعمّق الأزمة الاقتصاديّة والسياسيّة عند الإمبرياليّة.

إنّ حقيقة هذا الأمر تكشفها الوقائع التّالية:

(1) إفلاس معاهدة سيفر لتقسيم تركيا وإمكانيّة استرجاع هذه الأخيرة لكامل استقلالها الوطني والسياسي؛

(2) نموّ الحركة الوطنيّة الثّوريّة في الهند وبلاد ما بين النّهرين ومصر والمغرب والصّين وكوريا نموّا عاصفاً؛

(3) الأزمة الداخليّة المستعصيّة عند الإمبرياليّة اليابانيّة تدفع إلى نموّ عناصر الثّورة الديمقراطيّة البرجوازيّة في البلد نموّا سريعا، وإلى انتقال الطبقة العالّية اليابانيّة إلى نضال طبقي مستقلّ؛

(4) استيقاظ الحركة العالّية في جميع بلدان الشّرق وتكوّن أحزاب شيوعيّة في جميع أنحاء الشّرق تقريبا.

تشير الوقائع المذكورة أنّها إلى تغيّر قد حصل في أساس الحركة الثّوريّة الاجتماعيّة في المستعمرات. وقد أدّى هذا التّغيّر إلى اشتداد حدّة التّضال المعادي للعسكريّة؛ ولم تعد قيادة هذا التّضال مقتصرة على الطبقات الإقطاعيّة بينما تستعدّ البرجوازيّة الوطنيّة إلى مساومة الإمبرياليّة.

إنّ حرب 1914-1918 الإمبريالية وما تبعها من أزمة طويلة، بالأخصّ في أوروبا، قد أضعفتنا سلطة القوى العظمى على المستعمرات. ومن جهة أخرى، جعلت ذات الظروف، التي تسببت في تقلص القاعدة الاقتصادية للرأسمالية العالمية ومجالات نفوذها، التنافس الرأسمالي على المستعمرات أكثر حدّة، مما أخلّ بتوازن مجمل النظام الرأسمالي العالمي (الصراع من أجل النفط، نزاع إنجليزي-فرنسي في آسيا الصغرى، التنافس الياباني-الأمريكي من أجل الهيمنة على المحيط الهادي، الخ).

إن تقلص الضغط الإمبريالي على المستعمرات موازنة لتنامي التنافس بين مختلف المجموعات الإمبريالية قد سهّل تطور الرأسمالية المحليّة في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة، تلك الرأسمالية التي شرعت تتجاوز إطار الهيمنة الإمبريالية للقوى العظمى الضيق والمعيق. إلى حدّ الآن، يعمل رأسيو القوى العظمى، بحفاظهم على حقهم الاحتكاري لضمان فائض ربح من التجارة والصناعة والضريبة في البلدان المتأخّرة، على بذل الجهد حتّى يعزلوا تلك البلدان عن العلاقات الاقتصادية العالمية. إنّ مطلب الاستقلال الوطني والاقتصادي الذي ترفعه الحركات الوطنيّة في المستعمرات إنّما يعبر عن الحاجة إلى التطور البرجوازي في تلك البلدان. وبالتالي، يخلق نموّ القوى المنتجة المحليّة في تلك المستعمرات، تناقضا عدائيا في المصالح لا حلّ له بينها وبين عالم الإمبريالية؛ فجوهر الإمبريالية يكمن في استعمال مختلف مستويات تطور القوى المنتجة في أجزاء مختلفة من العالم الاقتصادي قصد استخلاص فائض الترخ الاحتكاري ❖

2. ظروف التّضال

يعكس تأخّر المستعمرات تنوع الحركات الوطنيّة الثوريّة المعادية للإمبريالية الذي يعكس، بدوره، تنوع حالات الانتقال من العلاقات الإقطاعية والإقطاعية-البرجوازية إلى الرأسمالية. إنّ هذا التنوع في الظروف يسم إيديولوجيّة تلك الحركات. وتنشأ الرأسمالية في هذه

البلدان، وتتطور، على قاعدة إقطاعية فتكتسي أشكالاً غير مكتملة وانتقالية وهجينة تكون الغلبة فيها لرأس المال التجاري، فتميز الديمقراطية البرجوازية عن العناصر الإقطاعية-البيروقراطية والإقطاعية-الزراعية غالباً ما يجري بطرق ملتوية وبطيئة. يمثل ذلك أهم عائق أمام نجاح التضال الجماهيري ضد الاضطهاد الإمبريالي وذلك بقدر ما يعمل الإمبرياليون الأجانب في جميع البلدان المتأخرة على تحويل الطبقات العليا الإقطاعية (وكذلك شبه الإقطاعية وشبه البرجوازية جزئياً) المحلية إلى أعوان لهيمنتها (الحكام العسكريون - التوتشون- في الصين، الأرستقراطية وأصحاب الرِّيع العقاري -الزيمندار والتلوغدار في الهند، البيروقراطية الإقطاعية في بلاد فارس، تشكل الرُّساليين المزارعين في مصر، الخ)

لهذا السبب فإن الطبقات السائدة في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة غير قادرة وغير مؤهلة لقيادة التضال ضد الإمبريالية بقدر ما يصبح ذلك التضال حركة جماهيرية ثورية. فقط هنالك حيث لم يبلغ النظام الإقطاعي-البيطريكي درجة من التفسخ تنفصل فيها الأرستقراطية المحلية عن الجماهير الشعبية مثلما هو حال الشعوب البدوية وشبه البدوية يمكن لتلك الطبقات العليا أن تلعب دور قائد نشيط في التضال ضد الاضطهاد الإمبريالي (بلاد ما بين النهرين، المغرب، منغوليا).

في البلدان الإسلامية تعبر الحركة الوطنية عن إيديولوجيتها، في البداية، بشعارات دينية-سياسية من قبيل الوحدة الإسلامية. إن ذلك يسمح لدبلوماسي وممثلي القوى العظمى استغلال ما لدى الجماهير الشعبية من أفكار مسبقة ولا مبالاة حتى يجاروا تلك الحركة (فالإمبريالية البريطانية تلعب لعبتي الوحدة الإسلامية والوحدة العربية، والخطة البريطانية لنقل الخليفة إلى الهند، ولعب الإمبريالية الفرنسية دور «المتعاطف الإسلامي»). ومع نمو حركة التحرر الوطني واتساعها تترك الشعارات الدينية-السياسية عن الوحدة الإسلامية المكان لمطالب سياسية ملموسة. إن خير مثال على ذلك هو التضال الذي يجري مؤخراً في تركيا من أجل فصل السلطة الزمنية عن الخليفة.

المهمة الأساسية التي تشترك فيها جميع الحركات الوطنية الثورية هي بلوغ الوحدة الوطنية وانجاز الاستقلال السياسي. إن الحل الحقيقي والثابت لهذه القضية في بلد معين يتوقف

على مدى قدرة الحركة الوطنية على أن تجذب لنفسها الجماهير الكادحة وعلى أن تقطع كل صلة بالعناصر الرجعية الإقطاعية وعلى أن تدرج في برنامجها المطالب الاجتماعية للجماهير. إذ تدرك الأممية تمام الإدراك أنّ إرادة أمة من الأمم في الاستقلال السياسي يمكن أن تعبر عنه، في ظروف تاريخية متنوعة، طبقات جدّ مختلفة، فإنّها تساند جميع الحركات الوطنية الثورية المعادية للإمبريالية. وفي ذات الوقت لا تغيب عن نظر الأممية الشيوعية حقيقة أنّ خطأ سياسيًا واحدًا ثوريًا منسجمًا مركزًا على سند الجماهير التّشيط ويقطع دون تحقّط مع أضرار مساومة الإمبريالية؛ خطأ يرمي إلى الحفاظ على الهيمنة الطبقيّة يمكنه أن يسير بالجماهير المضطّدة إلى التّصر. إنّ الصّلة بين الرجوازية المحليّة والعناصر الرجعيّة الإقطاعيّة تمكّن الإمبريالية من استغلال الفوضى الإقطاعيّة وتناحر مختلف زعماء القبائل والتناقض بين المدينة والرّيف والصّراع بين العشائر والطوائف القوميّة الدينيّة، الخ قصد تفكيك الحركة الشّعبية (الصّين، بلاد فارس، كردستان، بلاد ما بين النّهرين) ❁

3. القضيّة الزراعيّة

للقضيّة الزراعيّة في أغلب بلدان الشّرق (الهند، بلاد فارس، مصر، سوريا، بلاد ما بين النّهرين) أعلى منزلة من الأهميّة في التّضال من أجل التّحرّر من هيمنة تسلّط القوى العظمى. إنّ الإمبريالية، إذ تستغلّ في الأمم المتأخّرة أغلبيّة الفلاحين وتدمرها، فإنّها تجرّدها من وسائل العيش الأوليّة في الوقت الذي ينحصر فيه تطوّر الصّناعة البطيء في نقاط مبعثرة قليلة من البلاد ممّا يجعلها غير قادرة على استيعاب فائض السكّان الزراعيّين الذين لا يستطيعون، في ذات الوقت، أن يهاجروا. إنّ الفلاحين الذين حافظوا على الأرض فُقروا وأصبحوا أقنانًا. ففي حين كانت الأزمات الصّناعيّة قبل الحرب معدّلا للإنتاج الاجتماعي في البلدان المتقدّمة فقد أصبح دورها في المستعمرات هو المجاعة. إنّ الإمبريالية، التي من مصلحتها الحيويّة استخلاص أكبر ربح بأقلّ تكلفة وأضعف رأس مال، تبذل كلّ ما في

وسعها للحفاظ على الشكل الربوي الإقطاعي في استغلال قوة العمل في البلدان المتأخرة. في بعض البلدان مثل الهند مُنحت التّولة الإقطاعية المحليّة حق احتكار الأرض وانتقل شرف التمتع بالأرض إلى الحق الإقطاعي والزّميندار والتالوكدار وأعاونهم. وفي بلان أخرى يُستخلص ريع عقاري من الملكيات العقارية الكبيرة كما هو الحال في بلاد فارس والمغرب ومصر، إلخ. إنّ التّضال في سبيل تحرير الأرض من قوانين الإقطاع والعراقيل الإقطاعية يسم طابع التّضال ضدّ الإمبريالية والملكية العقارية الكبير الإقطاعية في سبيل التّحرر الوطني (مثال ذلك نهوض الموبلاه في الهند ضدّ المالكين العقاريين والبريطانيين في الهند في خريف 1921 وانتفاضة السيخ في 1922).

فقط ثورة زراعية ترمي إلى نزع أملاك المالكين العقاريين الكبار يمكنها أن تُهض الجواهر الفلاحية حتى تكتسب تأثيرا فاصلا في التّضال ضدّ الإمبريالية. إنّ خشية قسم من البرجوازيين الوطنيين (الهند، بلاد فارس، مصر) من شعارات الثورة الزراعية نتيجة طبيعية لارتباط البرجوازية المحليّة بكبار الإقطاعيين والإقطاعيين البرجوازيين المالكين العقاريين ارتباطا وثيقا وتابعة لهم إيديولوجيا وسياسيا. إنّ تردّد وتذبذب هذه الطبقة يجب أن تنتقده العناصر الثورية بانتظام وأن تفضح ما للقادة البرجوازيين في الحركة الوطنية من فقدان التصميم. إنّ فقدان التصميم هذا، على وجه التّحديد، هو جعل تكنيك الامتناع عن التعاون ينتهي بالإفلاس.

لن تنجح الحركة الثورية في بلدان الشرق المتأخرة إلا إذا ما ارتكزت على نشاط جواهر الفلاحين. لذا، يجب على الأحزاب الثورية في جميع بلدان الشرق أن تحدّد برنامجها الزراعي الذي يطالب بإطاحة تامّة بالإقطاعية ومخلفاتها الممتلئة في الملكية العقارية الكبيرة والضريبة الزراعية. ومصالحة التّضال في سبيل التّحرر الوطني، من الصّورتي إعلان إصلاح جذري لأسس الملكية العقارية. ومن الصّورتي أيضا إجبار الأحزاب الوطنية البرجوازية، بالقدر الممكن من التصميم، على أن تقبل بذلك البرنامج الزراعي الثوري ❁

4. الحركة العمالية في الشرق

الحركة العمالية الفنتية في الشرق هي نتاج تطوّر الرأسمالية المحليّة خلال السنوات القليلة الأخيرة. لا تزال الطبقة العمالية في الشرق، إلى الآن، وكذلك نواتها الأساسية، في مرحلة انتقالية؛ في طريق الانتقال من الحرف الصّغيرة إلى الصّناعة الرأسمالية الكبيرة. وبقدر ما يجذب المثقفون البرجوازيون الوطنيون الحركة الثورية للطبقة العمالية إلى التضال ضدّ الإمبريالية فإنهم يقدمون قادة من صلبهم لمنظّماتها النقائبة الجينية ولفروعها في أولى مراحل تطورها. ففي أولى المراحل لا تتجاوز تلك الحركات حدود المصالح «الوطنية المشتركة» للديمقراطية البرجوازية (الإضرابات المعادية للبيروقراطية والإدارة الإمبريالية في الصين والهند). وكما بين المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني، غالبا ما يكسو ممثلو الوطنية البرجوازية تطّعاتهم الديمقراطية البرجوازية ثوبا «اشتراكيا» و«شيوعيا»، مستغلّين ما لروسيا السوفييتية من نفوذ سياسي ومعنوي ومستغلّين غريزة العمال الطبقيّة، قاصدين بذلك، وأحيانا عن غير وعي، صرف المنظّمات العمالية الجينية عن مهماتها التنظيمية الطبقيّة المباشرة (مثل ذلك حزب إيشيل-أوردو في تركيا الذي رسم تركيا الكبرى بألوان شيوعية، وما يبشر به بعض ممثلي الكيومينتانغ في الصين من «اشتراكية التولة»). ورغم ذلك حققت الطبقة العمالية في البلدان المتأخّرة في السنوات الأخيرة تقدّما عظيما في العمل النقائي والسياسي. إنّ تألّف أحزاب طبقيّة عمالية مستقلة في جميع بلدان الشرق تقريبا إنّما هو واقع يشدّ الاهتمام رغم أنّ أغلبيتها الساحقة تتطلّب إعادة تنظيم داخلي كبير حتى تتخلّص من عدم الاحتراف وأشكال العمل الحرفي وغير ذلك من التناقض. إنّ تقييم الأهمية الشيوعية لما للحركة العمالية في الشرق من أهمية فعلية صحيح منذ البداية وإنّ ذلك لواقع على أهمية عظيمة وهو تعبير واضح عن وحدة عمال العالم أجمع وحدة أممية حقيقية تحت راية الشيوعية. وإلى حدّ يومنا هذا لم تجد الأممية الثانية والأممية الثانية والتصف سندا ولو في بلد واحد من البلدان المتأخّرة لأنّهم تلعبان دور «خادمتين» للإمبرياليّتين الأوروبيّة والأمريكية ❁

5. المهات العامة للأحزاب الشيوعية في الشرق

في حين ينظر الوطنيون البرجوازيون إلى أهمية الحركة العمالية من جهة أنها أداة لضمان انتصارهم، فإن الطبقة العمالية العالمية تنظر إلى الحركة العمالية الفنية في الشرق من جهة مستقبلها الثوري. ولا يمكن للبلدان المتأخرة، في ظلّ الرأسمالية، أن تبلغ التقنية والثقافة المعاصرتين دون أن تدفع ضريبة عالية في هيئة استغلال واضطهاد وحشيتين من جانب القوى العظمى. إنّ التحالف مع الطبقة العمالية في البلدان المتقدمة لا يملئه مصالح التضال المشترك ضدّ الإمبريالية فحسب، بل يمليه أيضا واقع أنّه فقط بانتصار الطبقة العمالية في البلدان المتقدمة يمكن لعمال الشرق أن يتلقوا عوناً في تطوير قواهم العاملة.

إنّ تحالفا مع الطبقة العمالية في الغرب يفتح الطريق نحو فيدرالية علمية من الجمهوريات السوفييتية. يمثّل النظام السوفييتي بالنسبة للأمم المتأخرة الشكل الأقل إبلاما للانتقال من ظروف العيش البدائية إلى أرقى ثقافة شيوعية؛ التي تهدف إلى أن تحلّ محلّ طرق الرأسمالية في الإنتاج والتوزيع في جميع أنحاء العالم. لقد ثبت ذلك من خلال تجربة تطوّر النظام السوفييتي في المستعمرات المحررة التي كانت تألّف الإمبراطورية الروسية.

وحده الشكل الإداري السوفييتي يمكنه أن يضمن إنجاز الثورة الفلاحية الزراعية إنجازا منسجما. إنّ الأشكال الخصوصية في فلاحية بعض بلدان الشرق (الزري الاصطناعي) التي احتفظ بها في الماضي في إطار تنظيم مميّز من التشارك التعاوني على قاعدة إقطاعية-بطريكية وزرعتها الرأسمالية التاهبة، تتطلب أيضا دولة وتنظيما من الطراز الذي يستطيع تلبية حاجات الناس على نحو منظم ومنمّظ. وبسبب ظروف خاصة مناخية وتاريخية سيكون لتعاون المنتجين الصغار في الشرق دورا هاما في المرحلة الانتقالية. إنّ المهمة الموضوعية للثورات المعادية للإمبريالية تتجاوز حدود الديمقراطية البرجوازية بسبب واقع أنّ انتصارا حاسما لا يتوافق وهيمة الإمبريالية العالمية. وفي حين كانت البرجوازية المحلية والمثقفون البرجوازيون رواد الحركة الثورية المعادية للإمبريالية، فإنّ البرجوازية الثرية والمالكيين العقاريين البرجوازيين شرعوا في التخلي عنها حالما انخرطت جواهر العمال الفلاحين

وأشباههم في تلك الحركات. وتواجه الطبقة العالّية الفتيّة في المستعمرات نضالا طويلا يمتدّ على مرحلة تاريخيّة بأكلها؛ نضالا ضدّ الاستغلال الإمبريالي وضدّ الطبقات التي تحكمها وتعمل على ضمان احتكار مزايا التطوّر الصّناعي والثقافي وعلى إبقاء جماهير الكادحين على ضعمهم «البدائي» القديم.

سيكون النضال في سبيل ضمان التّأثير على جماهير الفلّاحين بمثابة إعداد الطبقة العالّية المحليّة لدور القائد السياسي. فقط بعد أن تُنهي ذلك الإعداد في صفوفها وفي صفوف الطبقات المتحالفة معها تحالفا متينا، يمكنها أن تسير ضدّ الديمقراطيّة البرجوازيّة التي، إذا بالنظر إلى ظروف تأخر الشرق، لها طابع أكثر نفاقا مما لتلك التي في الغرب. إنّ رفض شيوعيّ المستعمرات المشاركة في النضال ضدّ الاضطهاد الإمبريالي بحجّة «الدّفاع» المزعوم عن المصلحة الطبقيّة المستقلّة إنّما هو أسوأ ضروب الانتهازية وهو يرمي إلى إضعاف الثقة في الثّورة العالّية في الشرق. وليس أقلّ ضررا من ذلك محاولة عزل الطبقة العالّية عن «الوحدة الوطنيّة» أو «السّلم المدني» مع الديمقراطيّة البرجوازيّة.

تواجه الأحزاب الشيوعيّة والعالّية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة مهمّة مزدوجة: فمن جهة أولى، الكفاح في سبيل أكثر الحلول جذريّة لمشاكل الثّورة الديمقراطيّة البرجوازيّة وكسب الاستقلال السياسي؛ ومن جهة ثانية، تنظيم العمال والفلّاحين للكفاح في سبيل مصالحهم الطبقيّة الخاصّة مستغلّين التناحر القائم في معسكر الديمقراطي البرجوازي الوطني. وإذ تتقدّم تلك الأحزاب بمطالب خاصّة فإنّها تحفز وتقدّم متنفسا ثوريا لا تمتلكه المطالب البرجوازيّة الليبراليّة. يجب على الطبقة العالّية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة أن تدرك أنّ دورها كقائد ثوري لا يمكن أن يتحقّق إلا إذا ما عمّقت ووسّعت النضال ضدّ القوى العظمى الإمبرياليّة. ومن ناحية أخرى، تسهّل المنظّمات الاقتصاديّة والسياسيّة وكذلك الممارسة السياسيّة للطبقة العالّية تعمق واتّساع مجال النضال ضدّ الإمبرياليّة.

يجب على الأحزاب الشيوعيّة في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة في الشرق، وهي أحزاب في مرحلة جينيّة، أن تشارك في كلّ حركة من شأنها أن تكون أداة صلة بالجماهير. وعليها في ذات الوقت أن تقود حملة حيويّة ضدّ الأفكار المسبقة البطريركيّة والحرفيّة والتأثير

البرجوازي في النقابات العمالية قصد حماية هذه المنظمات النقابية الجينية من الاتجاهات الإصلاحية وقصد تحويلها إلى منظمات جاهريّة كفاحيّة. وعلى تلك الأحزاب أن تبذل كلّ الجهد حتّى تنظّم الأعداد الغفيرة من عمال الفلاحة والحرفيين من الجنسين على قاعدة الدفاع اليومي عن مصالح المباشرة ❁

6. الجبهة المتّحدة المعادية للإمبرياليّة

في حين في الغرب، حيث ظروف مرحلة انتقاليّة، مرحلة تراكم المقاومة المنظّمة، وضع شعار الجبهة العماليّة المتّحدة في الصّدارة، فمن الصّروري أن يوضع، في الوقت الحاضر، شعار الجبهة المتّحدة المعادية للإمبرياليّة في الصّدارة في الشّرق المستعمر. إنّ فائدة هذا التّكتيك يمليه أفق نضال طويل ضدّ الإمبرياليّة العالميّة يتطلّب تعبئة كلّ العناصر الثّوريّة. لقد أصبحت هذه التعبئة أكبر ضرورة على الإطلاق بسبب كون الطبقات الحاكمة خضعت لعقد المساومات مع الرّؤساليّين الأجنبيّين ضدّ المصالح الأساسيّة للجماهير الشعبيّة. فكما أنّ شعار الجبهة العماليّة المتّحدة في الغرب يسهّل فضح خيانة الاشتراكية الديمقراطيّة لمصالح الطبقة العماليّة، كذلك يسهّل شعار الجبهة المتّحدة المعادية للإمبرياليّة فضح تذبذب وتردد بعض المجموعات الوطنيّة البرجوازيّة في الشّرق. كما سيساعد هذا الشعار على تطوّر الإرادة الثّوريّة وسيساعد أكثر على تحديد ملامح الوعي الطبقي عند جماهير الكادحة ويدفع بهم إلى الصفوف الأماميّة في النّضال لا ضدّ الإمبرياليّة فحسب، بل أيضا ضدّ كلّ بقايا الإقطاع.

يجب على الحركة العماليّة في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة، قبل كلّ شيء، أن تضمن لنفسها موقع عنصر مستقلّ في عموم الجبهة المعادية للإمبرياليّة. فقط على أساس إقرار هذا الاستقلاليّة والحفاظ عليها على نحو تامّ يمكن أن يكون اتفاق مؤقت مع الديمقراطيّة البرجوازيّة مقبولا وضروريّا. يجب على الطبقة العماليّة أن تساند وأن تضع في الصّدارة مطالب جزئيّة من قبيل جمهوريّة ديمقراطيّة مستقلّة والإطاحة بكلّ الحقوق والأفكار المسبقة

الإقطاعية وتحرير المرأة، إلخ، نظرا لواقع علاقات القوى في الوقت الحاضر لا يسمح بمباشرة برنامجها السوفيتي. ويجب في ذات الوقت، بذل الجهد لتقديم مثل تلك المطالب لتساعد على تركيز صلة متينة بين جماهير الفلاحين وشبه العمال والحركة العمالية. أن نشرح للجماهير الكادحة ضرورة تحالف مع الطبقة العمالية العالمية والجمهوريات السوفيتية فتلك إحدى أهم مهمات تكتيك الجبهة المتحدة المعادية للإمبريالية. فلا يمكن للثورة المعادية للإمبريالية أن تنتصر وأن تصون مكاسبها إلا إذا ما تزامنت مع الثورة العمالية في البلدان المتقدمة.

إنّ خطر حصول اتفاق بين الوطنيتين البرجوازيين في البلدان شبه مستعمرة (الصين، بلاد فارس) وبعض القوى الإمبريالية المتناحرة، أو في بلدان تكافح في سبيل ضمان الاستقلال السياسي مستغلة تناحر الإمبرياليين (تركيا) إنّما هو أمر أكبر بكثير مما هو عليه في المستعمرات. إن مثل ذلك الاتفاق سوف يعني تقاسما غير عقلائي للسلطة بين الطبقات الحاكمة المحلية والإمبرياليين تحت قناع استقلال شكلي يرفع البلد إلى مستوى وضع بلد شبه مستعمر تابع للعالم الإمبريالي.

إذ تقرّ بقبول وحمية مساومات جزئية ومؤقتة قصد تأمين التراجع في التّضال الثوري ضدّ الإمبريالية، يجب على الطبقة العمالية أن تقاوم بعناد كلّ محاولة، معلنة أو مستترة، لتقاسم السلطة بين الإمبرياليين والطبقات الحاكمة المحلية التي تسعى إلى الحفاظ على امتيازاتها الطبقيّة. إنّ مطلب تحالف متين بين الطبقة العمالية والجمهوريات السوفيتية يخدم راية الجبهة المتحدة المعادية للإمبريالية. وموازاة للدّفاع عن هذا المطلب، يجب أن يقاد نضال حازم في سبيل نظام سياسي الأكثر ديمقراطية قصد الإحماز على أكثر العناصر السياسيّة والاجتماعيّة رجعية والحفاظ على استقلاليّة الكادحين التنظيميّة في نضالهم في سبيل مصالحهم الطبقيّة (مطلب الجمهوريّة الديمقراطيّة، الإصلاح الزراعي، الإصلاح الضريبي، أسس الحكم الدّاتي الموسع، قانون الشغل، حماية عمل الأطفال، حماية الأمومة والطفل، إلخ). وكما هو الحال في تركيا المستقلّة، لم تتمتع الطبقة العمالية باستقلاليّتها التنظيميّة، ويجب يكون ذلك بمثابة مثال نموذجي لموقف الوطنيتين البرجوازيين من الطبقة العمالية ❁

7. مهمات الطبقة العمالية في بلدان المحيط الهادئ

إنّ ضرورة إقامة جبهة معادية للإمبريالية يملها أيضا استمرار اتّساع التناحر الإمبريالي. ويتخذ هذا التناحر اليوم أشكالا أكثر حدّة تجعل نشوب حرب عالمية جديدة ساحتها بلدان المحيط الهادئ ساحتها أمر محتوما إن لم تتداركها الثورة العالمية. كانت ندوة واشنطن محاولة لتفادي ذلك الخطر، لكنّها في واقع الأمر لم تقم إلّا بمزيد تعميق التناقضات في ما بين الإمبرياليين والتّشديد من حدّتها. إنّ النزاع الأخير الذي نشب بين وُوجي-فو وتشانغ-تسو-لين في الصّين إنّما هو نتيجة مباشرة لفشل كلّ من الرّأسمالية اليابانية والإنجلو-أمريكية في خلق انسجام في مصالحها في واشنطن. إنّ الحرب العالمية الجديدة التي تهّد العالم سوف لن تمس اليابان وأمريكا وإنجلترا فحسب، بل ستمس أيضا قوى رأسمالية أخرى (فرنسا، هولندا، إلخ) وهي تنذر بأن تكون أكثر تدميرا من حرب 1914-1918.

مهمّة الأحزاب الشيوعية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة في المحيط الهادئ هي القيام بتحريض واسع لتشرح للجماهير الخطر الذي يترص بها، ودعوها إلى الانخراط في نضال نشيط في سبيل التحرّر الوطني وأن تشرح لها كيف يجب التّظر إلى روسيا السوفياتية على حصن كلّ الجماهير المضطّدة والمستغلّة.

على الأحزاب الشيوعية في البلدان الإمبريالية، أمريكا واليابان وإنجلترا وأستراليا وكندا، وبالتّظر إلى الخطر المهّدّد، ألا تقتصر فقط على تحريض معادي للحرب، بل يجب عليها أن تبذل كلّ جهدها حتّى تزيح كلّ العوامل المعيقة من الحركة العمالية في بلدانها وحتّى تحول دون استفادة الرّأسماليين من التناحرات القومية والعرقية.

إنّ هذا العامل هو قضية الهجرة وازدراء اليد العاملة غير البيضاء. لا يزال نظام التعاقد للعمل إلى يومنا هذا هو التّظام الرّئيسي في انتداب العمال غير البيض في مزارع السّكر في بلدان جنوب المحيط الهادئ، التي ينقل إليها العمال من الصّين والهند. لقد دفع هذا الواقع عمال البلدان الإمبريالية إلى المطالبة بسنّ قوانين ضدّ هجرة العمال غير

البيض مثلما هو الحال في أمريكا وأستراليا. إنّ هذه القوانين المانعة تعمق التناحر بين العمال البيض والعمال غير البيض وتكسر وحدة الحركة العمالية وتضعفها.

يجب على الأحزاب الشيوعية في أمريكا وكندا وأستراليا أن تشرن حملة نشيطة ضدّ القوانين المعادية للهجرة، ويجب عليها أن تشرح لجاهير الطبقة العمالية في بلدانها كيف أنّ تلك القوانين إنّما هي لإثارة الحقد القومي وكيف أنّها تعود بالوبال في آخر الأمر على عمال البلد الذي يطبقها.

ومن جهة أخرى، يرغب الرأسماليون في تعليق القوانين المعادية للهجرة حتّى يحافظوا على وفود يد عاملة غير بيضاء بخسة الثمن وحتّى يجبروا العمال البيض على قبول أجور متدنية. لا يمكن اتقاء خطر هذه المحاولات الهجومية إلاّ باستيعاب العمال المهاجرين في نقابات العمل البيضاء. وتجب في ذات الوقت المطالبة بالرفع من مستوى أجور العمال غير البيض حتّى تصبح في مستوى العمال البيض. إنّ تكثيكا من هذا القبيل من شأنه أن يفضح مخططات الرأسمالي ويكشف بوضوح للعمال غير البيض كيف أنّ الأفكار المسبقة العنصرية غريبة عن الطبقة العمالية العالمية.

ولإنجاز هذا التكتيك يجب على ممثلي الطبقة العمالية الثورية في بلدان المحيط الهادئ أن تجتمع في ندوة بلدان المحيط الهادئ حتّى تضع خطًا صحيحًا للعمل وحتّى تقرّر الأشكال التنظيمية المناسبة قصد توحيد كلّ العمال من جميع الأعراق في بلدان المحيط الهادئ ❁

8. مهمات الأحزاب الشيوعية في البلدان الإمبريالية

إنّ الحركة الثورية المعادية للإمبريالية في صدارة الأهمية بالنسبة لقضية الثورة العمالية العالمية وهي لذلك تجعل من الضروري تقوية العمل في المستعمرات وبالأخصّ تقويته من جانب الأحزاب الشيوعية في البلدان الإمبريالية.

تقيم الإمبريالية الفرنسية كل حساباتها على أساس إخماد التّضال العمالي الثّوري في فرنسا وأوروبا باستخدام عبيد المستعمرات كاحتياط قتالي للثورة المضادة. وتواصل الإمبرياليين البريطانيين والأمريكية تقسيم الحركة العمالية بالمحافظة على الأرستقراطية العمالية داخلها بوعدها بإشراكها في فائض الرّبح المستخلص من استغلال المستعمرات. على كلّ حزب شيوعي في بلد مهيم على مستعمرات أن يباشر مهمّة تنظيم منهجي للمساعدة الإيديولوجية والمادية للحركة العمالية والثورية في المستعمرات. وعليه أن ينجز فضلا ثابتا وحازما ضدّ الاتجاهات الاشتراكية الاستعارية التي تجد صداها بين بعض الفئات من العمال الأوروبيين جيّدي الأجور في المستعمرات. على العمال الشيوعيين الأوروبيين في المستعمرات أن يبذلوا الجهد حتّى يجذبوا نحوهم الطبقة العمالية المحليّة وأن يكسبوا ثقتهما على أساس مطالب اقتصادية ملموسة (المساواة في الأجور بين العمال البيض والعمال المحليّين، حماية العمل، تأمين العمل، الخ).

إنّ تأليف منظمات شيوعية أوروبية منفردة في المستعمرات (مصر، الجزائر) إنّما يخفي نزعة استعمارية وعونا للمصالح الإمبريالية. وتأليف منظمات شيوعية على أساس خطّ وطني إنّما يناقض مبدأ الوطنية العمالية. فيجب على كلّ الأحزاب المنخرطة في الأمية الشيوعية أن تشرح دون على الدوام للجماهير الكادحة أهمية التّضال ضدّ الهيمنة الإمبريالية في البلدان المتأخّرة. وعلى كلّ حزب شيوعيّ يعمل في بلد إمبريالي أن يؤلّف لجنة خاصّة بالمستعمرات من صلب لجنته التنفيذية لهذا الغرض. ويجب أن يتجسّد عون الأمية الشيوعية للأحزاب الشيوعية في الشرق، قبل كلّ شيء، في المساعدة على تركيز صحافة ونشر الجرائد والتّوريات باللغات المحليّة. ويجب أن يولى العمل في المنظّمة العمالية الأوروبية وفي جيوش الاحتلال في المستعمرات اهتماما خاصا. لا يجب على الأحزاب الشيوعية في البلدان الإمبريالية أن تضيع ولو فرصة واحدة لتفضح ما لسياسة حكوماتها الإمبريالية وأحزابها البرجوازية والانتهازية من وحشية ❁